الفصل الثانى

كيف تفكر إسرائيل

مفاهيم اليهود للسيطرة على المنطقة العربية

المبحث الأول: مفاهيم الليكود .. جابوتنسكى.

المبحث الثانى: الأصول الفكرية .. والمبادئ الستة.

المبحث الثالث: الأصول الفكرية .. وعملية بناء الدولة اليهودية الكبرى.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

مفاهيم الليكود .. جابوتنسكى

تحت هذا العنوان كتب د. حامد عبد الله ربيع:

«مجموعة من الحقائق تسيطر على الإدراك الإسرائيلى، وتتغلغل فى جميع عناصر التصور المسؤول عن مستقبل الدولة اليهودية فى المنطقة، من حيث خصائص تعاملها مع المنطقة، بحيث أن هذه تكون نسيجاً متكاملاً لحقيقة النظرة الاستراتيجية البعيدة المدى، التى تتغلغل فى ذلك الإدراك.

أولاً: هو يميز فى صراعه بين مرحلتين: الأولى السابقة على الحرب، خلال هذه المرحلة التى سبق ووصفناها فى بعض الأحيان **بكلمة السلام المخادع.. هى مرحلة إعداد واستباق للصدام، يقول المنظرون للعلاقات العربية الإسرائيلية: إن هذه العلاقات يسيطر عليها فكرة الحرب النائمة، ففى لحظات السلام هناك رغم ذلك حرب مستترة خفية، إنها حرب غير معلنة، ولكن هذه هى حقيقة العلاقات، إنها مرحلة الإعداد للأرض التى سوف يتعين على جيش الدفاع أن يجتازها، يجب أن يتم حرث تلك الأرض بطريقة معينة، بحيث تصير رخوة ممهدة لاتملك أى عنصر من عناصر المقاومة**، ومن ثم تستطيع القوة والقدرة الإسرائيلية أن تجتازها بلا صعوبة. يجب أن تتحول إلى قطعة من الزبد يستطيع الجيش اليهودى أن يجتازها كالسكين فلا يجد أى عائق، ويسير فى الاتجاه الذى يريده ليصير سيد الموقف، حتى لو كانت قوته ضعيفة ومحدودة.

مرحلة السلام هى إعداد للحرب.

ثانياً: هذا المفهوم الأول ليس بالجديد فى تاريخ الصراع العسكرى، لقد سبق للفكر النازى أن أبرزه وأصلّه، ولكن الفكر الصهيونى أكمله، وجعل منه عقيدة حقيقية، وهو أمر يفسر كيف أننا لن نستطيع أن نفهم الفكرالسائد فى الإدراك الإسرائيلى إن لم نعد إلى «جابوتنسكى» وتلاميذه، نستلهم منه خصائص الفلسفة التى سادت وبلورت نظرة

الصهيونية اليمينية [1] الواقع أن مجيء ليكود [2] إلى السلطة يعبر عن انقلاب حقيقى فى الإطار الفكرى المتعامل مع الواقع. مما لاشك فيه أن التطور الداخلى فى إسرائيل أعد لذلك منذ حرب 1973 بل يمكن القول منذ حرب عام 1967 أخرت التطور العنيف الذى كان يجب أن يحدث، وجاءت حرب 1973 ففرضت على المجتمع الإسرائيلى أن يستيقظ، وجاءت يقظته فى شكل انقلاب خفىّ غير معلن، انتهى بوصول حزب ليكود إلى السلطة، الذي يعنينا مؤقتا أن نؤكد عليه أن مجيء ليكود يعنى وصول نظام للقيم جديد سيطر على الحياة السياسية وعلى أسلوب التعامل مع المنطقة، المفهوم الصهيوني الذى ساد خلال قرابة ثلاثين عاما منذ إنشاء إسرائيل، ليس هو المفهوم الذى يسود القيادة الإسرائيلية اليوم، صحيح أنه أضعف من التغير العنيف نحو نظام جديد للقيم، لكن الأمر الذى يجب أن نكون على وعى به أن ما يسود القيادة الإسرائيلية من قيم فى نهاية الثمانينات ليست هى القيم التى سادت ذلك المجتمع حتى نهاية حرب الأيام الستة.

سهّل هذا التطور العنيف الذى لاتزال القيادات العربية غير واعية بنتائجه ودلالتها عدة متغيرات:

---

(1) إن استخدام مصطلحات «اليمين» و«اليسار» و«الديموقراطية» فى إسرائيل لايعنى نفس المفهوم الغربى لهذه المصطلحات. فليست المبادئ والقيم الليبرالية هى معيار تحديد هذه الأوضاع والمواقف السياسية، بل يعد «الدين» ومدى التمسك بحرفيته فى الفكرة الصهيوني هما المعيار الحقيقى؛ لذا تتخذ معظم الأحزاب العلمانية مواقعها إلى اليسار، فى حين تتخذ الأحزاب الأكثر تمسكا بنظرية الأمن الإسرائيلى أوضاعها جهة اليمين.

راجع كتاب «النظام السياسى فى إسرائيل» لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل – دار الوفاء طبعة 2 عام 1992 ص 103 وتتلقى الأحزاب السياسية معونات مالية من المنظمات اليهودية فى الخارج، كى تتمكن من الاستمرار فى أداء دورها. ص 107 مصدر سابق.

(2) حزب ليكود أو كتلة ليكود: هو أحد أحزاب اليمين فى إسرائيل، ومعنى كلمة «ليكود» تدل هذه الكلمة على فكرة «أرض إسرائيل بحدودها التوراتية»، بما فى ذلك «ضفتى نهر الأردن». وقد ظهرت هذه الكتلة قبيل انتخابات الكنيست الثامنة، فى شهر سبتمبر 1973، باسم «التكتل اليمينى الإسرائيلى»، بيد أن كتلة «ليكود» وصلت إلى الحكم فى انتخابات عام 1977م بحصولها على (43 مقعدا) بعد أن كانت حصلت على (39 مقعدا) فقط عام 1973م . وتتكون كتلة «ليكود» من ثلاثة أحزاب رئيسية أهمها: «حركة الحرية» (حيروت)، التى أنشأها «مناحم بيجن»، والثانى «الحزب الحر»، والثالث فهو «القائمة الرسمية» (لاعم) وبعد موت «بن غوريون» التحق «لاعم» بكتلة ليكود.

* وفى صيف عام 1973 نشأت كتلة «ليكود» من ائتلاف «جاحال» «المركز الحر» «لاعم» لمجابهة ما أسموه «بسياسة المصالحة» التى تتبعها رئيسة الوزراء «جولدا مائير».

* وقد بدأت كتلة «ليكود» منذ عام 1981 أكثر اندماجاً، بعد أن كان للأحزاب المكونة لها قدر كبير من الاستقلال الذاتى؛ «النظام السياسى فى إسرائيل» لواء فوزى طايل ص 118، ص 119 مصدر سابق.

المتغير الأول: الأزمة التى كان يعيشها الفكر الصهيونى، وبصفة خاصة فى تقاليد الاشتراكية الحقيقية.

المتغير الثانى: نشوة النجاح التى أعقبت الثغرة المعروفة فى حرب أكتوبر والتى ضخمتها الدعاية الإسرائيلية على أنها تعبير عن الجيش الذى لايقهر.

المتغير الثالث: الضعف القيادى، ويكفى أن نتذكر من هو الذى كان يتزعم حزب العمل: رابين قائد عسكرى، صفحة حياته تحيطها الكثير من عناصر الشك، وشيمون بيريز تعوّد أن يكون الناجح فقط، وهو فى موضع الرجل الثانى ليذكرنا (بإيدن) البريطانى، الذى ما أن يدعى لأن يؤدى وظيفة الرجل الأول حتى يصيبه التلعثم ويفقد القدرة على التصرف السليم.

المتغير الرابع: بروز اليهود الشرقيين وسطوتهم، وبصفة خاصة وهم أقرب إلى جيل السابرا (*) الذى أضحى هو وحده صاحب الكلمة الأولى والنهائية، مما لاشك فيه أن هذا التغير الذى أصاب القيم القومية فى التعامل الخارجى فى حاجة إلى شىء من التحديد رغم ذلك، فعلينا أن نتذكر منذ البداية أن هذا التغير محدود الفاعلية، من حيث الإطار الحقيقى للتعامل.

أ – فكتلة ليكود لم تستطع أن تنفرد بالسلطة إلا فترة قصيرة لم تصل حتى إلى عشرة أعوام، ويجب أن نعترف بأن مشاركة كتلة العمل مع حزب ليكود لابد وأن يخفف من مبالغات اليمين.

ب – كذلك فإن عدم وجود قيادات يقلل من احتمالات السيطرة الفكرية الكاملة وبصفة خاصة أن شارون الذى يمسك العصا من وسطها، ما بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية رجل أنانى لا يؤمن إلا بنفسه.

جـ – إن مفاهيم جابوتنسكى [1] وقد قام مناحم بيجن بإحيائها، وبغض النظر عن

(*) جيل السابرا أو جيل (الصابر) ويطلق عليهم بالعبرية (تصابريم) وهى جمع، وتعنى ثمار التين الشوكى، وتستخدم الكلمة للدلالة على اليهود الذين وُلدوا فى فلسطين وتربوا فى إسرائيل. راجع كتاب النظام السياسى فى إسرائيل – ص 36 مصدر سابق.

(1) جابوتنسكى اسمه «زعيف جابوتنسكى» أما اسمه الأصلى «فلا ديمير جابوتنسكى Vladimir Jabotinsky وهو الذى أنشأ المنظمة العسكرية (ها إرغون تصفا لئومى). وشهرتها «إرغون» عام 1931، وتولى (بيجن) قيادتها عام 1943. بعد أن بلغت قرابة 3000 مقاتل حرب عصابات. وكان من أشهر قادتها (إسحاق شامير) وقد قامت بالعديد من أعمال العنف والقتل والوحشية فى فلسطين (منها مذبحة دير ياسين) فضلا عن أعمال الاغتيال. وهو الذى كان يدعو إلى نبذ فكرة التدرج والتوفيق، التى كان يدعوا إليها الاشتراكيون فى الحركة الصهيونية، والتوجه إلى الكفاح المسلح =

قدرة جابوتنسكى الأيديولوجية، فإن أفكاره تعود إلى فترة سابقة على إنشاء إسرائيل، ولذلك فإن أفكاره لاتصلح ولا تتوافق مع الحقيقة الدولية التى تعيشها إسرائيل فى نهاية القرن العشرين.

سوف نعود فيما بعد لتحديد خصائص فكر جابوتنسكى، وكيف ساهمت فى بناء نظام جديد للقيم السائدة فى المجتمع، وبصفة خاصة فى القيادة الإسرائيلية، ولكننا نحن بصدد تحديد العناصر العامة التى تسود الإدراك القيادى الإسرائيلى، يجب علينا أن نبرز معالم النظام الجديد للقيم، التى تسود هذا الإدراك والتى تربط القوى الثلاث المتحكمة فى التوليفة السياسية التى تحكم إسرائيل:

1 – أول هذه القيم: هى حق إسرائيل فى الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط.

2 – القيمة الثانية هو أن إسرائيل دولة شرق أوسطية وهى كذلك ليس فقط بسياستها الحالية بل وبتاريخها الطويل منذ أكثر من عشرين قرناً.

3 – القيمة الثالثة وهو سيادة المفاهيم الدينية. فى أى نظام للأخلاقيات السياسية يسود المجتمع الإسرائيلى المفاهيم الدينية، بمعنى التقاليد اليهودية الأصيلة التى أسسها الآباء الأوائل بكل ما تتضمنه من تناقضات أو مخالفات للعالم المعاصر.

المتغير الدينى، يصير من ثم أحد المحاور الأساسية للتعامل السياسى.

4 – إنشاء إسرائيل الكبرى بإقليمها المتسع، وكمها الديموجرافى، ووظيفتها القيادية والحضارية بصفتها الهدف النهائى للسياسة القومية اليهودية (1).

ثالثا: إن إسرائيل ليست مجرد دولة تَجَمّع يهود العالم، إنها تعبير عن الوظيفة الحضارية التى يجب أن تؤديها فى عالم القرن الواحد والعشرين، إن المجتمع اليهودى الذى تقيمه الدولة اليهودية ليس مجرد الشعب الذى ظلم وضحى به، إنه مقدمة الحضارة التى آن لها أن تقود الإنسانية لتهدى وتؤصل نظرة جديدة فى الحياة والوجود. وهذا وحده يعطى إسرائيل حقوقا معينة ويفسر ليس فقط حقها فى السيادة على المنطقة، بل وضعها فى أن تتعامل مع الولايات المتحدة على قدم المساواة من جانب، وأن تنظر إلى من يحيط

= لتحقيق الأهداف القومية لليهود، بالحديد والنار، الأمر الذى بلغ حد العداء بين «جابوتنسكى» و«بيغن» من جانب و«بن غوريون» من جانب آخر. وهو عداء ورثه كتلة ليكود، حزب العمل.

راجع إن ردت التوسع كتاب «النظام السياسى فى إسرائيل» لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل – مطبعة دار الوفاء ص 119، ص 120 مصدر سابق.

(1) النظام السياسى فى إسرائيل لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل، دار الوفاء المنصورة طبعة 2 عام 1992.

بها من شعوب على أنها تجمعات متخلفة، هى وحدها التى سوف توظفهم فى أداء تلك الوظيفة التى عهدت بها الإرادة الربانية إلى الشعب المختار.

جابوتنسكى ونظام القيم الجديد:

ما هى أفكار جابوتنسكى؟ والتى أعاد إحياءها حزب (ليكود) لتدخل فى تشكيل مفهوم الأمن القومى الإسرائيلى، ويخضع لها الإدراك القيادى بما فى ذلك القيادة العسكرية، والتى يجب أن نتعامل معها خلال الأعوام القادمة؟

الدراسة الحقيقية لتطور القيم وتأثيره فى صنع السياسة الإسرائيلية، لا وجود لها باللغة العربية، مراكز الأبحاث التى بدأت تنتشر فى الفترة الأخيرة فى العالم العربى، تتميز بصفتين: **الأولى** سطحية رجالها، ويكفى أن نتذكر أنه يكاد يستحيل أن نجد متخصصا فى التحليل السياسى يعرف اللغة العبرية، وهو يعيش فى تحليلاته على فقاعات منقولة من الإعلام الغربى اليومى، وواضح أنه بهذا الشكل ينتهى بتسطيح المشاكل وعدم القدرة على الغوص فى خلفيات الحقائق.

والصفة **الثانية**: إن هذه المراكز لاتعرف ما يسمى بالدراسات الحركية إنها تصف القائم، بل وهى تصف ذلك القائم الذى سيطر على الوضع فى المنطقة منذ عدة أعوام دون أن تدرك أن هناك متغيرات جديدة وتفاعلات أكثر عمقا.

مما نتصور أحد أهداف (غزو بيروت) هو تحطيم الإطار العلمى الذى كانت القيادات الفكرية الفلسطينية قد استطاعت أن تؤسسه رغم كل عيوبه، ومنذ ذلك التاريخ لم يوجد حتى اليوم جهاز آخر فى أى بقعة من بقاع العالم العربى، قادر على أن يحل محله فى خارج لبنان، لا يوجد بخصوص هذا الموضوع سوى الترهل.

التغير فى القيم السائدة فى المجتمع الإسرائيلى، وبصفة خاصة من حيث علاقة ونظرة قيادة ذلك المجتمع، بعالم الشرق الأوسط خطير وعميق، والدراسات بخصوصه عديدة بجميع اللغات، عدا اللغة العربية. المكان لايسمح إلا أن نطرح الموضوع فى أبعاده العامة وبصفة خاصة من حيث علاقته بمفهوم الأمن القومى من جانب، ومن حيث موضع المتغير الدينى فى التعامل مع منطقة الشرق الأوسط من جانب آخر.

هذه المفاهيم جاءت مع ليكود، وكانت بدايتها فى خلاف نظرى حول الثورة المعروفة فى التاريخ اليهودى القديم باسم ثورة «باركوفيا»، والتى انطلقت ضد الرومان، وانتهت بتحطيم المعبد الثانى عام 70 قبل الميلاد، فالعالم المشهور «هاركابى» نظر إلى هذه الثورة على أنها تعبير عن خطأ فى فهم المثالية فى تطبيق السياسة الخارجية، وتصدى له ممثل الفكر الليكودى، العالم «الداد» ليؤكد صواب التطرف المنسوب إلى القائد اليهودى بغض

النظر عن هذا الخلاف النظرى، فإن «هاركابى» أراد أن يلفت النظر إلى مخاطر الفلسفة المثالية وتأثرها بالنماذج التاريخية.

و«الداد» راح يدافع عن صلابة مفاهيم جابوتنسكى وصواب النظرة الجديدة فى التعامل مع سياسة إسرائيل الخارجية.

هذه النظرة الجديدة أدت إلى بروز مجموعة من المبادئ، كان لها أثر واضح فى إعادة تشكيل مفهوم سياسة إسرائيل، هذه المبادئ والتى تقف خلفها جميع القوى السياسية الحاكمة، يجب أن تكون واضحة فى الذهن، ورغم أنها تحتوى مجموعة التناقضات، البعض من هذه المبادئ تحيط به عناصر للغموض، ولكنه لايجوز أن يخدعنا ذلك، **وإذا كانت مراكز صنع القرار الدولى تعلم بها، فقد آن الأوان لأن يعلم بحقيقتها واحتمالاتها كل مواطن عربى، ولعل خطورة هذه القناعات**، وهى التى تفسر التصريح الذى فوجئ به منذ عدة أيام رئيس الحكومة الإسرائيلية، عندما طالب «بيكر» القيادة اليهودية بأن تتخلى عن فكرة إنشاء إسرائيل الكبرى، كل من يعرف حقيقة بواطن الأمور والإدراك الإسرائيلى القيادى، يعلم بأن العناصر المسؤولة فى داخل الدولة اليهودية تؤمن بأن واجبها التاريخى أن تحقق النبوءة، وأن تحيل الخيال إلى واقع، وأن تحقق الهدف النهائى وهو الدولة اليهودية العظمى، التى تتلقف الرسالة الحضارية التى عهدت بها العناية الإلهية إليها، والتى سوف تنتقل إليها فى خط مستمر من القيادة الروحية يبدأ بأثينا ويتلوه بروما وعبر سلسلة متتالية من الماضى، سوف ينتهى فى القدس.

ولكن ما بالنا نتقدم بالنتائج.

عناصر الإدراك الإسرائيلى:

هذا الإدراك الذى تلقفه «مناحيم بيجن» من «جابوتنسكى»، والذى تمت إعادة تطويعه تدريجيا والذى تفاعلت فى داخله مفاهيم «شارون»، ومن خلفه المؤسسة العسكرية، قاد إلى وضع الأصول العامة للإدراك الإسرائيلي، فلنحدد عناصره قبل أن نطرح موضوع الإسلام فى هذا الإدراك:

أ - أول عناصر هذا الإدراك أن العالم العربى ليس إلا تكوينا مصطنعا خلقته الإمبريالية العالمية، الأمة العربية لغو لا وجود له، لا يوجد شىء اسمه العالم العربى. تاريخ هذه المنطقة هو فقط قصة الاعتداءات على الأقليات المسلمة وغير المسلمة، أحد مسالك تفجير المنطقة هو التوترات الدينية، وبصفة خاصة بين الشيعة والسنة، منطقة الشرق الأوسط هى أرض الأقليات الدينية وليست أرض الأمة العربية، التى هى وهم خلقه الإدراك الخاطئ من الجانب الأوروبى.

ب – هذا الواقع يُسهل على إسرائيل مشكلة التسرب فى داخل منطقة الشرق الأوسط، **محور السياسة الإسرائيلية أنها يجب أن توطد علاقاتها مع الشيعة والدروز والطائفة المارونية، لأن هذه القوى تقع فى دائرة الضواحى بالنسبة للسنة وهى من ثم قادرة على أن تخلق نوعا من الضغط الجانبى على القدرة السنية.**

جـ – **الزعم بأن إيران ضد إسرائيل ليس إلا لغة غوغائية آن الأوان لإخضاعها لنظرة نقدية حقيقية.** العلاقات بين إيران واليهود علاقات تاريخية، والصداقة بين الشعبين رغم أنها اجتازت مراحل متباينة إلا أنها تاريخية وقديمة، هنا ترابط حضارى بين الشعبين الفارسي واليهودى. يجب أن يعود إلى الحياة، وحتى لو من منطلقات جديدة وبمنطق جديد (وفق منظور هذا الإدراك).

د – خلف هذه النظرية هناك قناعة فى القيادة الإسرائيلية بأن العالم العربى على استعداد لأن يتقبل الوجود الإسرائيلى فى المنطقة، العالم العربى لم يكره اليهود، ولم يعرف مفهوم التعصب العنصرى فى مواجهة الشعب اليهودى. هذا المفهوم صُدِّر له من خلال مفاهيم التعامل السياسى مع القرن العشرين، وهواليوم فى حاجة لأن يتعلم كيف يستقبل الوجود الإسرائيلى، وبصفة خاصة قيادة الوجود الإسرائيلى للمنطقة.

هـ – وهكذا برز مفهوم جديد فى السياسة الخارجية الإسرائيلية ليعلن عن أهدافه بصراحة، وبلا حياء، وهو استخدام القوة العسكرية كأداة لتحقيق أهداف سياسية.

إن مفاهيم «كلاوزيفتش» يجب أن يعاد صياغتها، ومع مجيء «مناحم بيجن» وبصفة خاصة على يد «شارون» برز واضحاً مفهوم أساسى وهو مفهوم مخالف كلية لمفهوم حزب العمل، وأساسه ليس احترام الوضع القائم، أو التظاهر باحترام ذلك الوضع القائم وإنما تغيير هذا الوضع ولو باستخدام الجيش كأداة تهديد، أو أداة تحطيم، ومن ثم برزت ملامح معينة بعضها تحقق وبعضها لايزال لم يُقدر له التحقق، ولكن القيادة الإسرائيلية تعمل بدأب على تحقيقه:

أولاً: إجراء اتفاقية سلام مع مصر، وفتح حدود التعامل بين الدولة العبرية ودولة شمال وادى النيل.

ثانياً: إنشاء دولة درزية فى سوريا ولبنان.

ثالثاً: تحويل العراق [1] إلى دولة فيدرالية متعددة الأجناس.

رابعاً: التدخل العسكرى فى لبنان وتحويله إلى مجتمع مفتت، يفقد فيه أى مواطن

(1) وقد تم ذلك نتيجة حرب الخليج الثانية، وفقد العراق استقلاله وقدراته وها نحن فى انتظار تدخل أمريكى إنجليزى مسلح فى العراق لاستكمال ما بدؤوه فى حرب الخليج (فبراير 1998).

الشعور بالانتماء إلى أى سلطة سياسية تعرف كيف تحميه.

خامساً: إنشاء دولة مارونية فى لبنان توقع على صك مماثل لاتفاقية «كامب ديفيد».

و – كذلك فإن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ليس محورها حاجة إسرائيل إلى المساعدة والمساندة من جانب، وحاجة الولايات المتحدة لخلق أداتها فى المنطقة من جانب آخر. العلاقة أبعد من ذلك وأكثر عمقا إن هناك تحالفاً بين دولتين على قدم المساواة:

أولاً: بحيث إن علاقة تل أبيب بواشنطن يجب أن تسوده الندية، وهكذا كان التطور نحو التعاون الاستراتيجى، ثم التحالف الحقيقى بين الدولتين الذى تم فى إطار هذه القناعة، وهو أمر يبدو واضحاً عندما كان لايزال مناحم بيجن يجلس في مقعد القيادة فى الجانب الإسرائيلى، وعندما كان «هيج» لايزال مسؤولا عن السياسية الخارجية الأمريكية من جانب آخر، وقد ترتبت على ذلك نتائج البعض منها لا يستطيع العقل الواعى أن يتصوره، وهو تأكيد ودليل على البراعة الإسرائيلية، وكيف أنها استطاعت أن تخلق لها الوظيفة، التى تحيل الضعف إلى قوة.

ورغم أن المكان لم يحن بعد لأن نعلن عن ذلك، إلا أننا نستطيع أن نُلمّح به، والذى يدور حول أن يعهد إلى تل أبيب باستخدام القنبلة النووية التكتيكية لإيقاف التدفق السوفيتى لو قُدر لحلف وارسو أن يحاول اكتساح وسط وغرب أوربا، سوف نعود لذلك فى موضعه، ولكن لنتذكر فقط مؤقتا كيف أن هذا والذي نعتقد أنه خلف التحول الواضح فى الابتعاد، ولو قليلا عن إسرائيل فى الجانب الأوروبى وبصفه خاصة فرنسا، كان يجب أن يكون موضع الدراسة العميقة الجادة من الجانب العربى لخلق العداوة، أو على الأقل عدم الثقة من الجانب الأوروبى فى مواجهة إسرائيل.

ولكن لمن نتحدث وهذه القيادات العربية المترهلة لاتزال تسيطر على مقدراتنا، سواء فى جامعة الدول العربية ومنظماتها، أو فى داخل الدول العربية ومؤسساتها؟

عودة إلى نقطة البداية فإن هذه النظرة إلى واشنطن كان لابد وأن تتبلور حول نقطتين أساسيتين:

أولاً: العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة ليست مجرد علاقة بين دولة صغيرة وإمبراطورية كبرى، إنَّها على العكس من ذلك علاقة بين مجتمع يهودى له وظيفة عالمية يتواجد جزء منه فى الولايات المتحدة، وهو هذا الجزء هو السبب فى الازدهار والتقدم الذى حققته تلك الولايات المتحدة، والأداة النظامية لذلك المجتمع اليهودى، التى تحمل على كتفيها مسؤولية تحقيق تلك الرسالة.

ثانياً: إن المساعدة الأمريكية لايجوز أن تستخدم كسلاح للضغط على إسرائيل، إنها نفقات لحماية التواجد الأمريكى فى المنطقة، بل ويجب أن تُدرج فى باب النفقات العسكرية وليس المساعدات أو المعونات، وكما أن الشعب اليهودى هو الذى مكن المجتمع الأمريكى من الازدهار والتفوق، فإن إسرائيل هى التى سوف تمكن السياسة الأمريكية من التوغل والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط، بل وفى جميع أجزاء البحر المتوسط.

لقد وصلت هذه القناعات إلى نفس القيادة الأمريكية العسكرية التى عجزت فى تخطيطها للتعامل الدولى، ولكن هذا موضوع آخر سوف نعود له فى موعد آخر بالتفصيل الكافى، والذى خلاصته بإيجاز مؤقتا أنّه فى حالة، اعتداء مكثف من جانب حلف وارسو على أوروبا، فإن العسكرية الأمريكية سوف تستند فى تعاملها مع حوض البحر الأبيض المتوسط إلى عنصرين أساسيين:

الأول: وسبق وذكرناه وهو إيقاف التدفق السوفيتى فى وسط أوروبا، وبصفة خاصة فى ألمانيا بضربة بالقنابل النووية التكتيكية التى هى وحدها تسمح بتحقيق ذلك الهدف وسوف يعهد إلى الطيران الإسرائيلى بالقيام بتلك الوظيفة.

الثانى: أن القوات الأمريكية لمنازلة الغزو السوفيتى سوف تعهد إلى الطيران الإسرائيلى القيام بتلك الوظيفة. لن تعيد قصة الحرب العالمية الثانية فى أوربا ولكنها سوف تجتاح شمال إفريقيا، ابتداء من المغرب حتى وادى النيل.

ز – كذلك فإن النظرة إلى الضفة يجب أن تنبع من تلاقى الاعتبارات الأمنية بالحقوق التاريخية، هذه المنطقة جزء من أرض إسرائيل الكبرى، وليس هناك موضع للنقاش بخصوص انتمائها. تنظيم وضع العرب فى داخل الأرض التى ليست محتلة، ولكنها محررة مقبول ولكن ليس أكثر من ذلك، إنَّه نفس المنطق الذى سبق وأن استخدمته السلطات السوفيتية وهى تحاول إنشاء دولة يهودية فى الاتحاد السوفيتى الأرض الإسرائيلية ولكن تنظيم مصالح أهالى تلك الأرض يمكن أن يُعبّر عن إرادة أهالى تلك الأرض التى تظل موضع الرسالة والوعد الإلهى للشعب اليهودى، منذ مجيء ليكود إلى الحكم فإن نظرته بهذا الخصوص كانت واضحة وصريحة:

أولاً: قانون القدس عام 1980.

ثانياً: ضم منطقة الجولان فى عام 1982.

ثالثاً: خطة الاستيطان فى القطاع والتى تم تنفيذها بهدوء وبذكاء يتجه فى جوهره إلى الاستئصال المعنوى والعضوى للعنصر العربى.

رابعاً: موضوع الانتخابات فى الضفة والقطاع.

علينا أن نتذكر وهو ما سبق وذكرناه، نكرره مرة أخرى رغم أن الوقت لايزال لم يحن بعد للتفصيل فى عناصره. إن الهدف البعيد المدى لإسرائيل، هو أنه فى لحظة معينة سوف يطرح مستقبل هذه المنطقة فى استفتاء تحت إشراف المنظمات الدولية، بعد أن تكون السلطات الإسرائيلية قد وثقت من أن النتيجة سوف تكون لصالحها بمعنى أن أغلبية من يصوت من أهالى المنطقة سوف يطالب بالانضواء تحت السيادة الإسرائيلية أيضا، هذه الناحية سوف نعرض لها فى موقعها بالتفصيل، وسوف نترك بخصوصها الوثائق تتحدث، وبصفة خاصة التقرير الذى صدر عن مركز يافا للدراسات الاستراتيجية بعنوان «الضفة الغربية وغزة منذ عدة أسابيع».

ولكن بقيت أهم نتائج هذا التطور من جانب النظرة إلى إسرائيل، على أنها دولة شرق أوسطية، ومن جانب آخر القناعة بأن الدين هو عنصر أساسى فى إطار التعامل مع منطقة الشرق الأوسط، كلاهما يكمل أحدهما الآخر، **ولكن الذى يعنينا مؤقتا هو عنصر الدين الإسلامي كمحور للتعامل بين القيادة الإسرائيلية والعالم العربى فى صراعه الحالى والمستقبلى.**

الإسلام والصراع العربى الإسرائيلى:

يرتبط بعملية التخريب الداخلى، والذاتى استخدام الإسلام كورقة فاعلة فى الإرباك المحلى، وتعميق التناقضات الفكرية والمذهبية، والواقع أن هذا يرتبط بتلك القناعة الصهيونية بأن الدين هو متغير أساسى فى الوجود السياسى، وفى الحركة المرتبطة بذلك الوجود سواء من حيث التعامل الذاتى أو الصراع الدولى.

على أن هذه الناحية فى حاجة إلى الكثير من الدقة فى التحليل والمعاناة الفكرية فنبدأ بمتابعة **تاريخ التعامل الصهيونى مع هذه الحقيقة الإسلامية:**

أ- فى بداية الحركة الصهيونية كانت أحد أدوات التعامل بقصد تدعيم القناعة بالدعوى الصهيونية، هى عملية **الإغراء التى توجهت إلى القيادة العثمانية** (1) **فى القسطنطينية.** ورغم أن الوثائق التى نُشرت أخيرا لا تسمح بعد بأن نقول كلمة نهائية إلا أنه واضح أنه عند عناصر معينة لايمكن الشك فى الدلالة التاريخية:

---

(1) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، أ.د. عبد العزيز الشناوى مكتبة الأنجلو المصرية كتاب الطريق إلى بيت المقدس جـ 2. د، جمال عبد الهادى مسعود. طبعة الوفاء، المنصورة؛ الدولة العثمانية، جزءان، نفس المؤلف دار النشر.

الأولى: **إن القيادات الإسلامية فى عاصمة الخلافة العثمانية لم تسمح بأن تحيد ولو لسنتيمتر واحد عن القناعة برفض كل مطالب الصهيونية مهما حدث من إغراءات.** بل إن الوثائق تحدثنا عن بعض من قبض مقدما ورفض الانصياع مؤخراً. كانت الإمبراطورية العثمانية صخرة ثابتة.

الثانى: إن التوافق أو الإغراء نجح فى بعض القيادات الإسلامية المحلية فى أرض فلسطين، ومن منطلق آخر إلى جوار المنطلق الدينى، حيث لعبت الأنانية وضيق النظر دورا هاماً وأساسياً.

الثالث: إن جميع القوى الدولية ورغم نظام الامتيازات الذى فتح بابا واسعا للتحايل لصالح الهجرة اليهودية للمنطقة، عملت حساباً للإرادة العثمانية بما فى ذلك نفس السلطات الروسية.

ب – فى مرحلة لاحقة وبصفة خاصة عقب أن برزت القوة العربية فى النطاق الإقليمى، بدأ الغزل يتجه إلى القيادات العربية من منطلق مفهوم القومية العربية، محور الغزل خلال هذه المرحلة كان أساسه أن اليهودية، قومية قادرة على أن تساند تطلعات المنطقة إلى الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، التى خانت وعودها مع تلك القيادات. العروبة هى لغة التعامل، وكانت منطلقا للتحالف، بل والتصدى فى حلف واحد ضد الاستعمار بمختلف صوره، وسوف يتسع هذا التصور، وسوف تتبلور هذه اللغة عقب الحرب العالمية الأولى لتتجه أيضاً إلى الاستعمار البريطانى، **وقمة النجاح فى هذه المرحلة بدأت عندما استطاعت القيادة الصهيونية أن تحصل على وعد من «بطرس غالى» وزير الخارجية المصرى فى ذلك الوقت، بإنشاء دولة إسرائيلية فى منطقة العريش، ولم يمنع ذلك المشروع من التحقق إلا التصدى البريطانى، الذى أنهى الموضوع برمته بكلمة من لندن. هل مقتل بطرس غالى ارتبط أيضا بهذه الواقعة؟ سؤال لم يجب عليه بعد المؤرخون.**

جـ – جاءت مرحلة لاحقة استغرقت قرابة عشرين عاما، استطاعت خلالها الدعاية الصهيونية أن تقيم حائطا فكريا بين المشكلة الفلسطينية والعالم العربي. إذا كانت أرض فلسطين ترفض التواجد الصهيونى المكثف، فلم يكن ذلك إلا نتيجة التناقض الطبيعى بين مصالح أهل تلك المنطقة الذين يريدون أن يظلوا فى حالة التخلف، والمجتمع القادم الذى يحمل الحضارة والنبوغ والتقدم خلال هذه المرحلة، والتى تمتد حتى نهاية الحرب العالمية الثانية نلحظ **ويجب أن نعترف بمسؤولية القيادات العربية وبصفة خاصة فى مصر، لو أن الطبقة المثقفة فى مصر فهمت واجبها الحقيقى وتصدت لهذا التطور لما كانت إسرائيل قد أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية.** بل إن المتتبع لمناقشات مجلس الوزراء المصرى فى نفس الفترة التى دارت فيها جولة الحرب العربية الإسرائيلية، والتى سُميت فى الفقه اليهودى بأنها حرب التحرير لايستطيع أن يمنع نفسه من التساؤل:

أين كانت هذه القيادات؟ أين كانت الطبقات المثقفة لتنير الطريق أمام المسؤولين؟ ولكن لماذا نتساءل هل تغير الموقف حاليا؟

د - خلال جميع هذه الفترات الثلاث، نلحظ أن الفقه الصهيونى، كان يجعل منطلقه الثابت هو تشويه التراث الإسلامى والصورة العربية.

ونلحظ بهذاالخصوص وبإيجاز شديد أن أعمدة الدعاية الصهيونية التى كانت تتمركز أولا فى سويسرا ثم انتقلت قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة إلى نيويورك جعلت مساراتها ثلاثة:

أولاً: إن الترابط بين التراث اليهودى والتراث الكاثوليكى أقوى من أى تهمة يو صف بها الشعب اليهودى، وبأنه مسؤول عن دم المسيح، فالمصادر واحدة والقناعات الأساسية واحدة والعلاقة بين الدينين هى علاقة توالد وليست علاقة تعارض.

ثانياً: أنه بقدر هذا الترابط فهناك صدام بين الدين الإسلامى من جانب، وكلا الديانتين اليهودية والكاثوليكية من جانب آخر، وأن الأول وهو دين فطرى لايعرف المثالية ولايتحدث إلا بلغة الدم والقهر.

ثالثاً: هذا الدين الإسلامى رغم ذلك لم يستطع أن يؤثر فى العالم العربى، الذى لا يصلح لأن يرتفع إلى مستوى الجماعات المتقدمة. إنه فى نهاية الطابور الطويل للوجود الإنسانى، بل إن الزنجى الأسود أكثر منه صلاحية، واستجابة لتعاليم الديانات السماوية.

هـ - خلال الفترة التى أعقبت إنشاء إسرائيل، لم يتغير المنطق الصهيونى، فى كلياته وظل كذلك حتى مجىء ليكود إلى السلطة، ولعل أحد أسباب ذلك سيادة مفاهيم حزب العمل الذى حاول بكل إمكانياته أن يقلص المتغير الدينى فى التعامل، المتتبع للفقه الصهيونى خلال الفترة الأخيرة يلحظ هذا التطور الخطير والجديد:

أولاً: فهو يحاول خلق الجسور بين ما يسميه الحضارة اليهودية والتراث الإسلامى بل ولا يتردد أن يتحدث عن المصادر اليهودية للقرآن.

ثانياً: بل هو لايقتصر على أن يطلق هذه الفكرة كبالون اختبار، بل ينقلها إلى مشروع سياسى يرتبط بالقدس، ونجح فى خلق القناعة بها، سواء لدى الرئيس «السادات» أو لدى القيادات المسؤولة فى الفاتيكان.

ثالثاً: ويكتمل ذلك بنظرته إلى منطقة الشرق الأوسط أنها عالم إسلامى، يضم أقليات متعددة ومتباينة ومختلفة عرقيا ومذهبيا، وهكذا تختفى كلمة العروبة فى هذا الإطار كليا.

إسرائيل فى التصور الجديد، دولة تنتمى إلى الشرق الأوسط تاريخيا وحضاريا، بل وعنصريا، وهى اليوم تعود إلى موقعها الطبيعى لتؤدى وظيفتها التاريخية وتصل إلى قمة النجاح عندما توفق فى توريط العالم المعروف بتضامنه مع العرب «جارودى» (1) فيصدر أحدث كتبه بعنوان «فلسطين أرض الرسالات الإلهية».

هذه جميعا مقدمات لفهم لماذا الاهتمام بالمتغير الدينى فى التعامل الإسرائيلى مع منطقة الشرق الأوسط العربية؟ وهى تستخدم هذا السلاح كسكين بحدين تمزق من جانب القدرة العربية، وتلوى من جانب آخر القدرة غير العربية.

كيف حدث ذلك؟

سؤال فى حاجة إلى وقفة تأمل.»

---

(1) لقد لف اللوبى الصهيونى الإعلامى الحبل حول عنق «جارودى» محاولاً أن يقصف قلمه إلى الأبد من خلال أجهزة الإعلام، ويسمع «جارودى» التهديدات باغتياله علناً من خلال أجهزة الإذاعة والتليفزيون. بل هناك برامج مخصصة لذلك بتمويل صهيونى يظهر فيها من يقول: «سأقتل جارودى... سأضربه بالرصاص؛ لأنه أهان اليهودية ويحاول تشويه صورة أجدادى!!».

* وهذه ليست المرة الأولى التى يتعرض فيها «جارودى» إلى مثل هذه العداءات الصهيونية فقد رفعت منظمة (ليكرا) دعوى على «جارودى» عام 1994، لأنه انتقد السياسة الإسرائيلية فى حرب لبنان، ورغم أن الدعوى رُفِضَتْ وحُكِمَ على (ليكرا) بالمصاريف .... ففى صباح 25 أبريل من نفس السنة، سمع «جارودى» طرقات على باب منزله وفتح الباب فوجد أحد المحضرين وهو يمسك ورقة يطلب الحضور إلى المحكمة للرد على قائمة اتهامات قدمها اليهود ويطالبون بمحاكمته لما اقترفه من مهانات، وأكاذيب ضدهم.

* وفعلا قررت الصهيونية العالمية، إعادة محاكمة «جارودى» طبقاً للقانون (جايسو – فاييونى) بتهمة معاداة السامية، وهذه جريمة تشكل جناية وليست جنحة طبقاً لهذا القانون التعسفى.

* والآن وفى نهاية عام 1997 ومع بداية عام 1998 يُقدم «جارودى» للمحاكمة أين؟.. فى فرنسا.. التى يتشدق فيها كل مثقف بأنها أم الديموقراطية.. وبها حرية الكلمة، ولكن ليس هناك عجب، حيث نقرأ فى مذكرات «شارل ديجول» وهو يقول: «لم أكن أعرف أن فرنسا أصبحت يهودية؟!!».

راجع فى ذلك كله: «كتاب جارودى والإسلام وغضب الصهيونية» محمد فوزى – المركز العربى للنشر والتوزيع – ص 3 – ص 8. ؛ جريدة الفيجارو: 26 أبريل 1996. ؛ جريدة ليبراسيون الفرنسية: 3 مايو 1996؛ جريدة الأهرام 96/6/18. * جريدة الأهرام 1996/7/23؛ جريدة الأهرام 1996/7/30؛ كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ومحاورات جارودى بالقاهرة – الناشر دار الغد العربى الطبعة الثانية.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثانى

الأصول الفكرية .. والمبادئ الستة التى تسيطر على السياسة الإسرائيلية فى صياغة مفهوم الأمن القومى

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

«أخطر ما يعنيه التطور المعاصر للمجتمع العربى، والذى تدخله القناعة فى حساباتها هو ما سبق وذكرناه تحت كلمة (**ميلاد المجتمع الجماهيرى**)، يرفض أساليب التعامل المعتاد، فالتخويف أو الإرهاب لايجدى معه شيئاً، وإن كانت له جدوى فهى مؤقتة رأينا ذلك فى داخل الأرض المحتلة، التى رفعت علم الانتفاضة، والمجتمع الجماهيري يملك قيادات من نوع معين كذلك، فإن منطق التعامل الجماهيرى يندفع من خلايا فكرية مختلفة.

المجتمع الجماهيرى قنبلة يمكن نزع فتيلها، ولكن إن لم يتم نزع تلك الفتيل فى لحظة معينة وبأسلوب معين يعنى انفجار لاتحمد عقباه، وأخطر ما يعنيه المجتمع الجماهيرى أنه لو توفرت فيه عناصر معينة فإنه يعنى أيضا ميلاد الأمة المقاتلة، وهذا هو أخطر ما يعنيه كمفهوم وكإرادة.

العالم العربى اليوم لم يقدم نموذج الأمة المقاتلة، إلا فقط منذ حرب أكتوبر فى حرب أكتوبر ولدت الأمة المقاتلة على ضفاف قناة السويس، هذه الأمة المقاتلة هى التى نجحت فى عبور القناة، ولكن التطور لم يكتمل، وانتقلت إرادة القتال من وادى النيل إلى وادي الفرات. ولكن مرة أخرى فإن التطور لم يكتمل، ومرة أخرى انتهت حرب عربية دون أن تخلق الأمة العربية، وأعقب ذلك الانتفاضة، **وللمرة الأولى اكتملت عنا صر الأمة المحاربة: إرادة قيادية، و ضوح فى الرؤية، شعب يضع حياته فى كفة الجهاد**.. ولكن كل ذلك فى حاجة إلى فيضان.

فهل تساهم إسرائيل، من حيث لا تدرى فى خلق العدو الحقيقى القادر على استنصالها.

فى هذا الإطار نستطيع أن نفهم حقيقة ومعنى المبادئ التى تسيطر على السياسة الإسرائيلية فى صياغة مفهوم الأمن القومى.

ستة مبادئ أساسية:

أولاً: منع التضامن العربى من أن يحدث أى نوع من أنواع التقارب بين المشرق العربى.

ثانياً: إجراء عملية تخريب واسعة النطاق في جميع أجزاء الجسد العربى.

ثالثاً: استخدام ورقة الإسلام كأداة للإرباك وخلق التناقضات.

رابعاً: تدعيم الترابط مع الولايات المتحدة وتحويله إلى تحالف استراتيجى.

خامساً: البحث عن حلفاء جدد فى عملية المساندة الدولية(1).

سادساً: خلق التحالفات الإقليمية الضاغطة.

سبق أن أبرزنا المبادئ الثلاثة الأولى، وحللناها بالتفصيل الكافى، وبقى أن نتعرض للمبادئ الثلاثة الأخيرة.

كذلك سبق أن رأينا أن مفهوم التعامل مع الولايات المتحدة من جانب تل أبيب، وكذلك وبصفة عامة الوضع فى نطاق الأسرة الدولية، قد خضع لإعادة تشكيل من جانب القيادة الإسرائيلية الجديدة، وبصفة خاصة منذ مجىء «مناحم بيجن» إلى السلطة وتمركز اليمين الجديد فى السلطة، ومحور ذلك ثلاثة عناصر أساسية:

العنصر الأول: إن إسرائيل أضحت فى قناعة بأنها تؤدى فى العالم المعاصر وظيفة حضارية وقيادية تضفى عليها واقعاً معيناً، وتعطيها حقوقاً معينة فى الأسرة الدولية.

العنصر الثانى: إن إسرائيل أضحت تميز فى صورة واضحة بين عملية إنشاء إسرائيل الكبرى، وحقها فى الهيمنة والسيادة على المنطقة.

الأول: هو الوعد الإلهى، ولكن.

الثانى: هو أمنها القومى أكثر اتساعا من حيث ميدان التعامل، يكاد ينقلنا إلى المفاهيم النازية التى عُبِّرَ عنها بفكرة المجال الحيوى.

العنصر الثالث: إن كل ذلك يرتبط بأبعاد اقتصادية معينة، تدور حول حق إسرائيل، ليس فقط فى البقاء بل وفى المحافظة على مستوى الحياة للمواطن الإسرائيلى فى مجتمعه القومى.

(1) مثال ذلك تحالفات اليهود مع تركيا، أديس أبابا وأوغندا وأريتريا واليونان وحلف الأطلنطى.

فى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم المبادئ الثلاثة الأخيرة، والتى قد تبدو بعيدة عن ميلاد المجتمع الجماهيرى العربى، ولكنها كما سوف نرى فى صميم هذا التطور الخطير فى منطقة الشرق الأوسط.

النظرة الجديدة للتعامل الدولى والإقليمى:

التطور الحقيقى الذى تعيشه العقلية الإسرائيلية، هو ذلك المرتبط بنظرية التعامل الدولي، ويبدو ذلك واضحاً عندما نلحظ أن المفاهيم السائدة اليوم فى التصور الإسرائيلى ورغم أن صياغتها جاءت على يد (حيروت[1]) وحلفائه، إلا أنها من جانب أقرب إلى الصهيونية الاشتراكية مما نتصور، ومن جانب آخر واستجابة للتطور الاجتماعى والاقتصادى للقوى التى يتكون منها المجتمع الإسرائيلى، ولعل هذا نموذج واضح لكيف أن السياسة الخارجية لاتعرف أيديولوجيات، وإنما تنبع فى داخلها من الواقع الحى.

النظرة التقليدية والتى سادت فى الدوائر المسؤولة الإسرائيلية، وبصفة خاصة حتى عام 1967 ظلت تمارس تأثيرها حتى مجىء ليكود إلى الحكم عام 1977. انطلقت - وبغض النظر عن الجزئيات - من أربعة مفاهيم كل منها يكمل الآخر:

أولاً: مفهوم الأمن القومى يمثل الحد الأدنى للحماية الذاتية، وهو مفهوم مستقل عن السياسة الخارجية، يرتبط فقط بعلاقة إسرائيل بدول الجوار الجغرافى.

ثانياً: مفهوم آخر أساسه أن السياسة الإسرائيلية وجوهرها هو إقامة حائط يحيط بها، أنها مجتمع الجيتو فى منطقة الشرق الأوسط، وقد أضحى حقيقة سياسية، هذا الحائط ليس فقط للحماية السياسية، بل وكذلك لحماية النقاء العرقى.

ثالثاً: التعامل مع العالم يجب أن يكون حذرا، هذا العالم بأجمعه هو الذى كره اليهود، وهو الذى سعى إلى استئصاله، وهو لايزال يكره اليهود، لأن هذا العالم لم يتغير ولم تتغير نظرته إلى إسرائيل، سوى أن يهود إسرائيل يصارعون اليوم مجتمعا وهو المجتمع العربى أيضا بدوره موضع الكراهية مع الأسرة الدولية.

رابعاً: على إسرائيل وعلى قيادتها السياسية أن تتجنب أى تورط.

التورط هو قيود تمنع الحركة وقد تقود إلى نتائج لن تستطيع إسرائيل مهما بلغت من الذكاء أن تتخلص منها فى المستقبل.

---

(1) حزب (حيروت) هو العمود الفقرى لكتلة ليكود، وحزب (حيروت) - الذى أنشأه بيجن عام 1948 - يُعد وريث حزب «الإصلاحيين» الذى أنشأه «زعيف جابوتنسكى عام 1921م. والذى يدعو إلى نبذ فكرة التدرج والتوفيق التى كان يدعو إليها الاشتراكيون فى الحركة الصهيونية؛ «النظام السياسى فى إسرائيل» لواء أ.ح.د. فوزى طايل ص 119 مصدر سابق.

عقب مجىء ليكود وبصفة خاصة عقب حرب لبنان، سوف نكتشف مفهوما جديدا للسياسة الخارجية. السبب الحقيقى فى هذا التغير هو أن إسرائيل لم تعد تمثل مجتمع الجيتو الذى عرفته العقلية اليهودية وسيطرت على القيادة اليهودية حتى عام 1967 وهى رغم هزيمة أكتوبر سرعان ما استعادت نفسها عسكريا، ثم غزت أكبر دول المنطقة دبلوماسيا وهى تهدد وتتصدى فى المنطقة، هذا الواقع الجديد كان لابد وأن يعكس نظرة تتضمن عناصر جديدة للسياسة الخارجية. قد تبدو هذه السياسة غير واضحة وغير مقننة، ولكن متابعة الجزئيات تسمح ببناء عناصرها المختلفة.

أ – لقد توسع مفهوم الأمن القومى، ليصير مرادفا للسياسة الخارجية، إنه لغة القوى وقد أضحى واعيا بقوته.

ب – الحائط الذى أقامه «بن جوريون» وأبناؤه ليس مشكلة حدود مغلقة، وإنما هو سيادة قوية تخيف وترهب.

جـ – التعامل الحذر لايمنع من البحث عن عناصر المساندة وتدعيم تلك العناصر بكل ما تملك إسرائيل من مقومات.

د – التورط هو قَدَر يجب أن تواجهه إسرائيل، ما هى الدولة التى تريد أن تكون ذات فاعلية ولم تتورط كذلك، فإن التورط له حساباته.

هذا هو المفهوم الجديد الذى برز مع ليكود، ثم تأكد مع حرب لبنان، ولايزال سائدا رغم مشاركة حزب العمل فى السلطة.

يعنينا من هذا المفهوم النتائج المختلفة المرتبطة بمفهوم الأمن القومى، وقد برزت هذه النتائج بصفة خاصة فى أبعاد خمسة:

البعد الأول: المتعلق بما سُمِّى فى وقته «البرنامج الكبير» والذى يدور حول حرب لبنان وجوهره البدء بإنشاء إسرائيل الكبرى (1).

البعد الثانى: التمييز بين إنشاء إسرائيل وعملية الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط والتحكم فى مستقبلها من جانب الإدارة الحاكمة الجديدة الإسرائيلية وأبعاد تلك الهيمنة.

البعد الثالث: ويرتبط بالتطور العضوى، الذى أصاب العلاقات الأمريكية الإسرائيلية.

البعد الرابع: ويقودنا إلى حقيقة التطور فى علاقات التعامل مع دول الجوار الجغرافى

(1) إسرائيل الكبرى: يعنى من النيل إلى الفرات، حسب توراتهم المحرفة وما جاء فيها فى سفر التكوين 18/15 «وعقد الرب مع إبرام عهداً لنسلك أعطى الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات». ونسى اليهود أن إبراهيم عليه السلام كان رسولاً مسلماً، والذى يرثه هم المسلمون، وليس اليهود؛ لأنهم كفروا بنبى الله إبراهيم عليه السلام.

للمنطقة.

البعد الخامس: وينقلنا إلى دائرة أكثر اتساعا فى التعامل الدولى، حيث يبرز ما يسمى بمنطق المساندة الدولية، وارتباط ذلك بالتعامل الإقليمى.

نتابع هذه النواحى بشىء من الإيجاز:

البرنامج الكبير وحرب لبنان:

فكرة إنشاء إسرائيل الكبرى لم تَخْتَف فى أى لحظة من مخيلة القيادة الإسرائيلية، ومنذ وجود الدولة وقبل وجود الدولة، رغم ذلك فحتى حرب 1967 كانت القيادة واعية بقدراتها، ولذلك فهى لم تحاول فى أى مرحلة أن تحيل ذلك الأمل إلى خطة مركبة عندما طرح موضوع التعامل مع لبنان، بقصد التدخل فى بعض أجزائه الجنوبية أو خلق تحالف مع القيادات المارونية فى مجلس الوزراء الإسرائيلى، «وبن جوريون» لايزال فى أوج إيناعه انتهى النقاش بإرجاء الموضوع.

السياسة الإسرائيلية حتى عام 1967 كانت تتميز بثلاثة خصائص أساسية:

أولاً: الواقعية والتى معناها التعامل مع المتغيرات، تبعا للقدرات التى تملكها الدولة.

ثانياً: التدرج فى التعامل، بمعنى البدء بالأهم فالأقل أهمية.

ثالثاً: عدم الإعلان عن الأهداف النهائية بمعنى إحاطة الأهداف الحقيقية من الحركة بكثير من التجهيل والسرية.

هذه الخصائص الثلاث، ورثتها الدبلوماسية الإسرائيلية من تقاليد الدبلوماسية الصهيونية، وبرع فى تطبيقها «بن جوريون» وأعوانه، الهدف الأساسى الذى كانت تعمل جاهدة فى سبيل تحقيقه هو انتزاع الشرعية الإقليمية لإسرائيل. وقف عائقا أمام ذلك من جانب وجود جمال عبد الناصر بهالته الكاريزماتية، ومن جانب آخر قوة الرأى العام العربى المتضامن مع مصر، رغم الخلافات بين الحكام. ومن جانب ثالث العزلة الدولية لـ «إسرائيل» ولكن فى عام 1967 تحققت أول خطوة فى سبيل إنشاء «إسرائيل الكبرى» دون أن تقصد القيادة الإسرائيلية فى إسرائيل. فى حرب 1967 كانت تريد تحقيق شرعيتها الإقليمية من جانب، ولكن من خلال قلب التوازن الدولى فى المنطقة الذى حدث أنها حققت نصراً تميز بخصائص ثلاث لم تكن أى قوة تتوقعه:

أولاً: نصر سريع؛ حيث حسمت المعركة فى الساعات الأولى من بدئها، أى فى صباح يوم الإثنين الذى بدأت فيه المعركة وفى الجبهات الثلاث.

ثانياً: انهيار سريع؛ ومفاجىء فى جميع الجبهات فى مصر، كان الجيش الذى أحاطته

هالة الدعاية يجرى حافى القدمين. فى سوريا استطاعت الدبابات الإسرائيلية أن تقضى على أى إرادة مقاتلة. المنطقة الوحيدة التى وجدت فيها مقاومة حقيقية، وهى شرق الأردن، لم تستطع أن تستمر فى مقاومة الفيضان لأكثر من عدة ساعات.

ثالثاً: عدم قدرة القيادة الإسرائيلية على استيعاب النصر والاستمرار فى قوة الاندفاع، إنها لم تصدق نفسها كانت قادرة على أن تدخل القاهرة ودمشق وعمان فى آن واحد، تحيل هذه العواصم الثلاث إلى رهينة فى يدها، لم تعرف كيف تستغل نصرها كما لم تعرف القيادات العربية كيف تقف على أقدامها.

ولكن النتيجة غير المقصودة، والتى كانت تراود أحلام جميع القيادات الصهيونية هو التوسع والبدء الجدى فى سبيل إنشاء إسرائيل الكبرى، وقد تحقق ذلك فى أبعاد واضحة فى منطقة الجولان، وبصفة خاصة الضفة والقطاع التى اعتبرت دائما أجزاء من دولة إسرائيل التوراتية، ولكن سيناء التى حولها يدور نقاش عنيف، فإنها تصير ورقة للمقايضة كما أثبتت عقب ذلك الأحداث حيث من خلالها تم تطويع الإرادة المصرية.

ومع مجىء مناحم بيجن إلى السلطة تغير هذا الإطار للتعامل:

أولاً: فالجيش الإسرائيلى أضحى أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية، فيما هو أبعد من حماية الأمن القومى الإقليمى، حيث تصير القوة العسكرية أداة لخلق الظروف السياسية الملائمة لاختراق الإطار الدولى.

ثانياً: **ولم يعد مقبولا أن يكون جوهر التعامل العسكرى هو فكرة الدفاع، حتى لو كان وقائيا. يجب أن يكون أساسه الهجوم. الهجوم الدائم المستمر دون اعتبار بأى ناحية أخرى** ولنتذكر أنه حتى حرب 1967 كانت فى نظر القيادة الإسرائيلية هى حرب دفاعية ولو من خلال الهجوم المسبق أو الضربة المجهضة.

ثالثاً: والإرادة الإسرائيلية يجب أن تعمل بثبات على إنشاء إسرائيل الكبرى. إن إسرائيل التوراتية هى التى يجب أن يتم تحقيقها، لأن هذا هو وحده الذى سوف يسمح للشعب اليهودى بأن يجد نفسه يَصلُح لأن يؤدى وظيفته المختارة، **وظيفة الشعب اليهودى ليست فقط متجهة إلى الشعب اليهودى، ولكنها تتجه إلى الإنسانية من خلال عناصر ثلاث: الكتاب المقدس، أو التوراة أولا، ثم الأرض التى يحتضنها الشعب اليهودى ثانيا، والإرادة السياسية هى إسرائيل الدولة ثالثا.**

لنستطيع أن نفهم هذه النظرة الجديدة، يجب أن نعود إلى الوراء قليلاً، وقبل «جابوتنسكى» لنتوقف أمام الأب الروحى للدولة اليهودية ذات الوظيفة الحضارية وهو «موسيس هيس» فى كتابه الذى ظل مجهولاً أو مُجهّلاً، حتى جاء حزب (حيروت) فأخرجه إلى النور بعنوان «روما والقدس».

المبحث الثالث

الأصول الفكرية .. وعملية بناء الدولة اليهودية الكبرى

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

«لو حاولنا أن نفهم حقيقة الفكر الصهيونى المتغلغل فى القيادات المسؤولة حاليا، «فى تل أبيب» علينا أن نعود أولاً إلى أفكار جابوتنسكى، وقد سبق ولخصّناها، ثم ثانياً إلى فلسفة (هس) كما لخصها فى كتابه الذى ظل محدود الأهمية حتى قُدّر له أن ينتزع من تراث الصهيونية السابق على يد (هرتزل) ونسلط عليه الأضواء، ليصير فى التقاليد الحالية أحد أعمدة العقيدة الصهيونية الجديدة.

(وموسيس هس) ولد فى أوائل القرن التاسع عشر، وكان أحد أصدقاء وتلاميذ (كارل ماركس). بل وصل به الأمر إلى الاقتناع بالماركسية ورفضه الانتماء اليهودى. كلمته التاريخية: «سوف نظل دائماً أجانب بين الشعوب». وفجأة وبعد قصة من المعاناة عاد (موسيس هس) إلى عشيرته نادما على ما اقترفته يداه. وبدا منذ ذلك الفترة فى بناء نظريته للقومية اليهودية.

من أهم ما كتب بذلك الخصوص، كتابه الذى أخذ صورة عدة خطابات كتبها إلى زوجة أخيه. فى هذا الكتاب والذى لم تكن توجد له حتى ترجمة فرنسية إلى عشرة أعوام مضت وضعت الأصول الحقيقية لما نستطيع أن نسميه **الوظيفة العالمية اليهودية.**

نستطيع أن نحدد عناصر هذه الدعوة فى ثلاثة:

أولاً: اليهودية ليست مجرد تعاليم وقيم تتجه إلى من آمن بها. إنها قيم تتجه إلى كل إنسان وفى كل مكان، إنها تتضمن نظرة وفلسفة، ترفع من الإنسان وتقدسه كقيمة فى ذاته وهى لا توجد إلا فى قدس الأقداس، أى (الدين اليهودى وتعاليمه التوراتية) التى ظلت دائما صامدة رغم كل ما أحاط بها وبمن آمن بها من عذاب وتضحية.

ثانياً: إن المجتمع اليهودى بوصفه كذلك وهو وحده القادر على ذلك مدعو لأن يؤدى

رسالة القيادة للبشرية. هناك رسالة لا شعورية عُهِد بها إلى كل شعب متقدم، وقد تنقلت هذه الرسالة من شعب إلى شعب، الذى وضعت فى جسده ما يسمى «الروح الخالدة».

ثالثاً: هذه الوظيفة تقمصت فى لحظة معينة فى إرادة أثينا، ومنها انتقلت إلى روما، وهى تسير دائما فى تقدم ثابت، واليوم آن أن تحمل هذه الراية القدس(1)، التى سوف تصير عاصمة العالم. إنها هى وحدها التى فيها تتجمع كلمة الرب والشعب المختار والأرض التى من رحيقها تتكون القيم اليهودية.

هذه الإرهاصات فى حقيقة الأمر ليست جديدة فى الفكر الغربى، ولكن بلورتها فى هذه الصورة وبناؤها فى نظرة متكاملة وربط كل ذلك بالشعب اليهودى أولاً، وبمدينة القدس ثانياً، وبوظيفة الدولة الإسرائيلية ثالثاً، لم يتم إلا على يد (موسيس هوس). وقبل أن ينشر هذا الكتاب أقبل عليه المؤرخ اليهودى «جرنز» الذى وجد فيه التأكيد الحقيقى لأبحاثه عن تاريخ الشعب اليهودى، والتطور الخفى للضمير والوعى اليهودى، فى توجهه نحو أداء الرسالة العالمية لتلك الحضارة. وما أن اطلع على النسخة الخطية لذلك الكتاب حتى كتب إلى موسيس هس. «لا أستطيع أن أقول لك كيف أن شكل ومضمون هذا الكتاب أحدث فى نفسى الكثير من الانطباعات» ودعاه للإقامة معه حيث عاش «موسيس هس» فى ضيافة المؤرخ العالمى ثلاثة أشهر اكتلمت فيها الصياغة النهائية لهذه الوثيقة.

كتاب «روما والقدس» الذى يعود إلى الحياة اليوم مع القناعة الجديدة التى تسيطر على الطبقة الحاكمة الإسرائيلية، يصير أسسا لنظرة جديدة لوظيفة إسرائيل فى العالم المعاصر. والواقع أن موضوع وظيفة إسرائيل فى العالم المعاصر يرتبط بما يسميه الفقه منذ فترة غير قصيرة بأزمة الصهيونية، محور ذلك، هل أدت الصهيونية وظيفتها ولم يعد لها موضع؟ لقد أرادت الصهيونية أن تُنشىء مكانا يجتمع فيه يهود العالم، ليضعوا حدا لشقائهم على سطح الكرة الأرضية، ولم يستطع اليهودى أن يقضى حياته كأى شخص آخر، الذى حدث وسجله مفكرو إسرائيل بكثير من القلق أمران:

الأول: أن اليهودى أضحى فى حالة استقرار فى كل أنحاء العالم، إلا فى إسرائيل، حيث لا يشعر بأى استقرار.

الثانى: أن اليهود المنتشرين فى أنحاء العالم لم تعد تغريهم الهجرة إلى إسرائيل. لقد كان الواحد منهم يترك روسيا إلى النمسا، ومنها يغير توجهه وبدلا من أن يجعل هدفه الوصول إلى تل أبيب، نجده قد وضع كل قدراته فى أن يبتعد عن تل أبيب.

الثالث: أضف إلى ذلك الهجرة المضادة، وأولئك الذين يتركون الأرض المقدسة إلى أى مكان آخر خارج إسرائيل.

---

(1) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، جارودى.

وصلت هذه التساؤلات إلى قمتها عام 1966. حرب 1967 أعادت الأمور إلى نصابها، ولكن فقط لعدة أعوام. حرب 1982 فجّرت مرة أخرى نفس الموضوع. **التساؤلات كانت ومنذ عام 1966 مردا لإثارة مو ضوع وظيفة إسرائيل فى العالم المعا صر.** وثار حول ذلك التساؤل حوار بين أعمدة الفكر الصهيونى ودون تعميق. فمن فريق يتحدث عن إسرائيل دولة بحر متوسطية، يحمل لواءه أبا إيبان. ومن فريق يؤكد وظيفة إسرائيل الثقافية ويحاول أن يخلق من إسرائيل صورة لسويسرا المتعددة الجنسيات يقوده الزعيم الصهيونى «جولدمان».

الفريق الثالث والذى بدأ متلصصاً خجولاً، راح يتحدث عن الإمبريالية الجديدة وكان يمثله بصفة خاصة موشى دايان. هذا الفريق هو الذى أينع وقد وجد فى كتابات «جابوتنسكى» من جانب وفى مؤلّف «موسيس هس» عن روما والقدس من جانب آخر مصادر تنظيرية. على أن أهم ما دفعه للأمام هو التطور الخطير الذى أصاب العقلية الإسرائيلية من جانب ثان، والإعداد الفكرى لبناء وظيفة دولية لإسرائيل من جانب ثالث:

أ – العقلية الإسرائيلية سيطر عليها التطرف والتعصب الذى لا حدود له فى مواجهة العربى، وهو تطور نتج عن تفاعل داخلى فى المجتمع الإسرائيلى، بسيادة الكم الشرقى اليهودى من جانب، والتعاطف بين هذا الكم الشرقى مع التوجه الدينى فى الكم الغربى فضلا عن خضوع جيل السابرا لنفس هذا التوجه، مع سيادة المفاهيم: التعصب والاستعلاء. ومما لاشك فيه أنه شجع على ذلك بصفة خاصة النجاح الإسرائيلى عقب قصة الثغرة المعروفة والتصدع الذى ميز وسيطر على الجانب العربى.

ب – التوليفة الحاكمة لاتجمعها سوى هذه الخصائص. فاليمين المحافظ الذى يمثله حزب «حيروت» يسعى إلى الأسواق الجديدة، والجيش أو المؤسسة العسكرية تحلم بالانتصارات والفتوحات، والقوى الدينية لاتعيش إلا فى نطاق الأسطورة الدينية والوعد الإلهى. وهكذا المحور الذى يخلق الترابط بين القوى الثلاث المتحكمة فى التوليفة السياسية تؤمن بالتوسع والانتشار.

جـ – الإعداد لوظيفة دولية إسرائيلية هو النتيجة الطبيعية للسياسة الأمريكية، وسوف نرى ذلك فى وضوح ودقة فيما بعد.

الذى يعنينا أن نؤكد عليه كنتيجة لذلك يدور حول:

الأول: أن مشروع إسرائيل الكبرى ليس هو التوسع والهيمنة.

ثانياً: أن علاقة إسرائيل بالمنطقة وبجميع دولها، بما فى ذلك مصر، هى علاقة هيمنة وسيادة ولو بطريق غير مباشر.

ثالثاً: أن علاقة إسرائيل بالولايات المتحدة لايمكن أن تُقْبل بالمعنى المتداول والذى ظل يحكمها حتى حرب لبنان، مبدأ واحد، وهو حاجة تل أبيب إلى واشنطن. كلا إن كُلا منهما فى حاجة إلى الآخر، وهى حاجة أبعد من أن تتحدد فقط بمنطقة الشرق الأوسط وإن كانت تنطلق منها.

نتابع هذه العناصر بشىء من التفصيل:

obeikandl.com

التمييز بين مشروع إنشاء إسرائيل الكبرى

ونظرية المجال الحيوى الإسرائيلى

التمييز بين مشروع إسرائيل الكبرى والمجال الحيوى، هو عنصر أساسى فى الفكر الإسرائيلى السائد، «فإسرائيل الكبرى» تعنى التوسع العضوى للدولة اليهودية، وهو حق المجتمع اليهودى فى ألا يقف عند حدود نهر النيل غرباً، ونهر الفرات شرقاً.. أليس هذا هو الوعد الإلهى؟ وإسرائيل قد سارت بهذا المعنى خطوات محدودة، حكمت عليها الظروف الدولية أن تكون معقدة، وهى لابد وأن تخطو بهذا الخصوص خطوات آن لها أن تصير عملاقة، فرصتها الحقيقية هى الأعوام القادمة.

مما لاشك فيه **أن التعداد الديموجرافى يمنعها من أن تحقق أهدافها بهذا الخصوص كاملة**، ولكن أنصار هذه النظرة من غلاة الصهيونية، يؤكدون بأن الوقت يعمل فى صالحهم وأن الكتلة اليهودية الموجودة فى الاتحاد السوفيتى سوف تبدأ إن آجلا أو عاجلا فى التوجه نحو إسرائيل وأن تظل أقليتها الأمريكية فى الولايات المتحدة، فإن ذلك إلى أجل معين، وعندما يصير القدس عاصمة الإنسانية، وإسرائيل مقدمة العالم المتحضر سوف تسرع تلك الأقلية نحو الأرض الموعودة.

الأعوام القادمة تقدم مزايا معينة:

أولاً: فهناك تحول فى داخل الاتحاد السوفيتى نحو التعاطف مع إسرائيل، وفتح باب الهجرة لليهود الروس.

ثانياً: وأوربا الغربية تتجه إلى الوحدة، وهى فى تلك اللحظة سوف تكون فى حاجة إلى إسرائيل، وخصوصا لو عرفت إسرائيل أن تبرز كقوة مسيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط الشرقى.

ثالثاً: والأزمة الاقتصادية فى الولايات المتحدة، وصعود الأقليات السوداء بصفة خاصة، إلى القدرة فى داخل المجتمع الأمريكى سوف يجعل من إسرائيل عنصراً جاذباً يستطيع أن يستقطب جزءاً هاماً من الأقلية اليهودية الأمريكية.

من هذا المنطلق **بدأت الحركة الإسرائيلية فى تنفيذ ما أسمته: ((البرنامج الكبير))** الكلمة ذاتها تدعو للتساؤل، فهى كانت تتحدث دائما عن إسرائيل الكبرى، ولكنها منذ مجىء «مناحم بيجن» إلى الحكم - وبصفة خاصة - عقب تكامل البورتسكيا الصهيونية، لم تعد

تتحدث عن إسرائيل الكبرى وإنما استخدمت كلمة «المشروع الكبير». وهو أمر يدعو للتساؤل: هل هذا التغيير فى الاصطلاح يعنى تطورا فى المفهوم، أو أنه مجرد استخدام لاصطلاح جديد؟ الوثائق لا تسعفنا ولكن الأحداث القادمة سوف تحدد حقيقة هذا التطور، الذى يعنينا فقط بهذا الخصوص أن نؤكد عليه يرتبط بثلاثة عناصر فى التطور:

العنصر الأول: أنه مع ذلك المشروع الكبير ظهر تحالف جديد بين خمس شخصيات، كونت فى فترة معينة رأس الطبقة القيادية: «مناحيم بيجن» ومعه وزير الدفاع «شارون» وإلى جواره وزير الخارجية «شامير» ويكمل هذا الثلاثى كل من رئيس الأركان «إيتان» ثم مدير الموساد «يهوشوا سافوى». ورغم اختفاء «مناحيم بيجن» عقب ذلك وابتعاد على الأقل شكليا، «شارون» من وزارة الدفاع، إلا أن علينا أن نتذكر أن هؤلاء الخمسة لايمثلون أنفسهم ولكنهم يمثلون مؤسسات معينة لاتزال تمارس قدرتها فى صنع القرار.

العنصر الثانى: أن حرب لبنان أثبتت فساد النظرية التى سادت العقلية الإسرائيلية المتعلقة بالتعامل مع لبنان. فمحور هذه العقلية الجديدة الافتراض – الذى سبق وحللناه – والذى خلاصته أن القوة العسكرية يمكن استخدامها نتيجة الحرب تدعو للتساؤل حول صحة هذه النظرية:

أ – أن أعداء إسرائيل فى لبنان ليسوا فقط المقاومة الفلسطينية، وقد ساعد الغزو على خلق قوي معادية جديدة لاتقل خطورة وهى قوة الشيعة اللبنانية.

ب – كذلك فقد أثبتت حرب لبنان أن استخدام القوة قد يخلق حركة مقاومة قوية جماهيرية لايمكن الاستهانة بها وأن الأمة المقاتلة قد ولدت أيضا فى لبنان.

جـ – حرب لبنان أحالت الجيش من قوة عسكرية إلى قوة بوليسية، وقد نال هذا حقيقة من هيبة جيش الدفاع سواء فى الخارج أو فى علاقة الجندى الإسرائيلى نفسه بالجيش صاحب التقاليد المزعومة.

د – بل وقد فرضت هذه الحرب على القيادة الإسرائيلية خلافا لتقاليدها، أن تحترم الحماية التى تبذلها الأمم المتحدة.

والواقع أن أخطر نتائج حرب لبنان هو فشل حزب ليكود، فى أن ينفذ حقيقة ما أسماه «البرنامج الكبير» الذى يعنى البدء ولو خطوة فى إنشاء إسرائيل الكبرى، من خلال ابتلاع جزء على الأقل من جنوب لبنان، وخلق دولة موالية تعمل فى فلك تلك الإرادة الإسرائيلية فى لبنان.

السؤال الذى يجب أن نطرحه: ما هى الخطة الجديدة التى سوف تلجأ إليها إسرائيل فى الأعوام القادمة لتحقيق هدفها كاملا؟ هل تعد لأدوات أخرى أو أدوات مكملة؟ التوليفة

الحاكمة لاتزال فى السلطة، وقناعاتها لاتزال مسيطرة، فكيف تعد نفسها للتعامل مع هذا الواقع؟

سؤال يجب أن نطلقه ونحن نعلم مقدما أننا لانعرف بعد حقيقة الإجابة عليه، ولكن عنصراً واضحا يجب أن نؤكد عليه. التمييز الواضح بين إنشاء إسرائيل الكبرى والهيمنة على المنطقة. **إذا كانت إسرائيل الكبرى هى المنطقة التى تنسب إلى الوعد الإلهى، فإن النفوذ الإسرائيلى سوف يمتد إلى ما هو أكثر من ذلك. أنه سوف يتسع شرقا حتى الباكستان وغربا حتى المحيط الأطلسى، وجنوبا ليصل إلى الحبشة، وشمالا ليقف عند حدود تركيا. إن هذه ليست فى حاجة إلى الاحتلال والضم: إنها فقط سيطرة** [1] **حيث سوف تصول وتجول إرادة ونفوذ إسرائيل.**

العنصر الثالث: إن هذا المشروع الضخم للهيمنة لن يتم دفعة واحدة. **فى مرحلة أولى سوف يوجد نوع من التحالف أو تقسيم مناطق النفوذ مع قوى ثلاث تقف على حافة منطقة الشرق الأوسط: إيران وتركيا ثم الحبشة**، العلاقة بين إسرائيل وهذه الدول الثلاثة هى علاقة مزدوجة: فى مرحلة أولى تعاون ولكن فى مرحلة ثانية سوف تخضع نفس هذه القوى للسياسة التى أخضعت لها منطقة الشرق الأوسط العربية، وبعبارة أخرى فإنه فى مرحلة أولى سوف يتم التعامل على أساس تقسيم مناطق النفوذ، وفى مرحلة ثانية يتم استئصال نفوذ تلك الدول وإعادتها إلى حجمها الطبيعى، لتصير دولاً تابعة فى العالم المتسع الذى تتوسطه إسرائيل.

أدوات هذه الهيمنة عديدة وسوف نرى تلك الأدوات بتفصيل فيما بعد، ولكن الذى يجب أن نتذكره فى عملية الهيمنة ومراحلها المختلفة ملاحظتين جانبيتين:

الأولى: تشجيع الوحدات الإقليمية العربية، **ودفع شمال إفريقيا بطرق معقدة وغير مباشرة للابتعاد العربى وتقوية علاقاته ولو مؤقتا مع السوق المشتركة الأوروبية.**

الثانى: استغلال مصر كوسيلة للتغلغل فى المشرق العربى، تحت سيطرة وهيمنة تل أبيب، ولو دون وعى من القيادات المصرية كمقدمة بدورها يعقبها إلغاء الوسيط.

العلاقات الإسرائيلية الأمريكية والتطور الجديد:

الناحية الجديرة بالاهتمام وهى المتعلقة بالتطور العضوى فى العلاقات بين تل أبيب وواشنطن، تفرض بدورها الكثير من القلق.

مما لاشك فيه أن علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل، تعود إلى ما هو قبل إنشاء

---

(1) راجع فى ذلك كتاب «أزمة شيشان» لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل، مركز الإعلام العربى – القاهرة – ط 1 عام 1994.

إسرائيل، وهى واضحة ومعبرة على الأقل منذ القرارالتاريخى بالتقسيم، رغم ذلك فقد ظلت هذه العلاقة تسودها ثلاثة مبادئ:

الأول: إنه لايتوجها إلا صك دولى.

الثانى: إن كلا الدولتين لاتفصح أو تعلن عن تلك العلاقات، إسرائيل تخشى التورط والولايات المتحدة تعمل حسابا لأصدقائها العرب.

الثالث: المحور الحقيقى هو التعاطف الأخلاقى والشعور الأمريكى بالتزام معنوى نحو مجتمع ضحى به يفضل النظام النازى.

كذلك يجب أن نُدخل فى الاعتبار أن القوى المتعاطفة مع القضية العربية لم تكن محدودة؛ بل كانت تمثل شرائح متسعة فى المجتمع الأمريكى، بينما القوى المناوئة والمناهضة للصيهونية كانت بدورها تملك ثقلاً معينا. التطور الذى عرفه الواقع الأمريكى خلال العشرين عاما اللاحقة لإنشاء إسرائيل سجل ظواهر ثلاث:

الظاهرة الأولى: التقلص فى الوجود العربى وفى المساندة العربية.

الظاهرة الثانية: التوسع المبالغ فيه فى القوى الصهيونية والمساندة للسياسة الإسرائيلية.

الظاهرة الثالثة: الترابط بين المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية.

«روزفلت» رغم شعبيته، ورغم قوته، ورغم قناعته بالصهيونية، لم يجرؤ على أن يتخذ موقفا مؤيدا لإنشاء إسرائيل.

«كيندى» كان مؤمنا بأن مصالح الولايات المتحدة تختلف عن مصالح إسرائيل. ولكن رغم ذلك فإن العالم العربى وقدراته لم تعرف كيف تستغل ذلك الواقع بل اندفعت فى مهاترات وإخفاقات متتالية لتنتهى فى عام 1967، فإذا بتغير جوهرى في هذه العلاقات محوره الحقيقى ما أثبتته إسرائيل من إمكانيات بالنسبة للسياسة الأمريكية، رغم ذلك فإن القيادة الإسرائيلية كانت تخشى دائما رد الفعل السوفيتى. أضف إلى ذلك حقيقة قد لاتبدو واضحة وهى أن القيادة الإسرائيلية:

أولاً: باشتراكيتها المالية **وثانيا**: بأصولها الحضارية السلافية. كانت أقرب إلى موسكو منها إلى واشنطن.

حزب ليكود يمثل ثلاثة متغيرات أساسية:

المتغير الأول: مفاهيم جابوتنسكى وسيادة المتغيرات الدينية.

المتغير الثانى: الاتجاه المحافظ الجديد وأهمية الطبقة الوسطى الغنية.

المتغير الثالث: سيطرة مفهوم العرض والطلب على سوق التعامل الاقتصادى.

وهكذا برزت واضحة فى الإدراك الإسرائيلى صورة جديدة للتعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية.

أ – فالولايات المتحدة هى الفاعل الدولى الوحيد والجدير بالثقة، سواء على مستوى التعامل الدولى أو على مستوى التأثير فى منطقة الشرق الأوسط.

ب – ولذلك يجب على إسرائيل أن تصوغ سياستها بحيث تخدم الولايات المتحدة فى المنطقة وأن توظف جميع إمكانياتها لصالح – فقط – واشنطن.

جـ – وذلك يعنى أن العلاقة بين واشنطن وتل أبيب يجب أن تكون علاقة استراتيجية فى أبعاد ثلاث:

البعد الأول: من حيث الزمان بحيث إن الولايات المتحدة تستطيع وإلى أمد غير قريب أن تعتمد على مساندة إسرائيل.

البعد الثانى: من حيث النظام الكلى للدفاع على مستوى الكون للمصالح الأمريكية، أن واشنطن وهى تدافع عن الحرية والديموقراطية يجب أن تجد فى إسرائيل أداة أساسية لتحقيق تلك الأهداف.

البعد الثالث: من حيث الوظيفة الحضارية، فكما أن واشنطن تحمل راية حضارية معينة فإن إسرائيل بدورها تحمل راية هى قريبة، بل وهى وحدها المتجانسة مع تلك الحضارة التى تؤمن بها واشنطن.

د – كما أن الولايات المتحدة هى المتغير الدولى الوحيد فى المنطقة، فكذلك يجب أن يُنْظَر إلى إسرائيل على أنها الصديق الوحيد (*) للولايات المتحدة فى المنطقة.

هـ – التعاون مع إسرائيل يجب أن يمتد ليشمل جميع أجزاء منطقة الشرق الأوسط ودون استثناء.

متابعة تطور هذه العلاقات وتوقعاتها بالنسبة للمستقبل ليس هو محور هذه الدراسة وسوف نتعرض له بالتفصيل فى موضع آخر. ولكن الأمر الذي لاشك فيه أنه مع بقاء ليكود فى السلطة ظلت هذه العلاقات ورغم جميع الصعوبات فى تزايد مستمر، لتصير اليوم فى أقوى قوة لها من حيث الترابط الاستراتيجى. بل ونستطيع القول بأنه ورغم أن ليكود هو الذى أسس هذه العلاقات العضوية بتنظير متكامل، فإن اختفاء ليكود من السلطة وهو أمر يجب أن نُدخِلَه فى الاحتمال، سوف تترتب عليه زيادة فى قوة هذه العلاقة العضوية، إن

(*) راجع تصريح إسحق رابين عندما وجه كلامه للرئيس كلينتون يوم أن تولى الرئاسة. وماذا قال كلينتون فى حفل تنصيبه، فى كتاب نحو نهضة أمة «كيف نفكر استراتيجيا» اللواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل – الباب الخامس ص 300 هامش 3 – مركز الإعلام العربى – طبعة عام 1997.

مبالغات ليكود التى تُحرج الإدارة الأمريكية سوف تختفى، ولكن طبيعة العلاقات سوف تزداد قوة وقد وَجَدت لها الإطار التنظيرى.

ولعل هذه الناحية لن تكتمل لو لم نلفت النظر إلى خمس ملاحظات، يجب أن تدعونا إلى التفكير والتساؤل:

الملاحظة الأولى: إن إسرائيل تعمل جاهدة على ألا توجد فى المنطقة أيّة قوة أخرى تستطيع أن تقدم خدماتها للسياسة الأمريكية، فموقفها من أزمة قبرص ثم تعاملها مع الحبشة وسياستها إزاء إيران، خصوصا لو ظل النظام الإسلامى فى السلطة فى طهران ولايوجد ما يدعو للاقتناع بعكس ذلك، يزيد من اعتماد الولايات المتحدة على إسرائيل. بل إن مصر خضعت فى لحظة معينة لنتائج ذلك، مع ما يعنيه من خلق مشاكل وتوترات بين واشنطن والقاهرة.

الملاحظة الثانية: إن نصوص التعاون الاستراتيجى التى تتجدد سنويا ورغم أننا لانعلم عنها شيئاً على سبيل الدقة، إلا أنها تتسع لتشمل أيضاً منطقة الخليج.

الملاحظة الثالثة: إن هذا التعاون انتهى أيضا بالتأثير فى الإدراك الأمريكى. لقد كانت النظرة الأمريكية أنه من مصلحة واشنطن أن تعيش المنطقة مرحلة استقرار، اليوم وتحت التأثير الإسرائيلى فإنها تؤمن بأن التوتر والاضطراب بشرط أن يكون مضبوطا ومتحكما فيه أكثر مدعاة للتوافق مع المصالح الحقيقية الأمريكية.

الملاحظة الرابعة (*): إن الاستراتيجية على المدى البعيد تسير فى تخطيط أساسه المراحل الأربعة التالية: إنشاء إسرائيل الكبرى، الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط، توسيع نطاق المجال الحيوى ليتسع فى أبعاده الأربعة ليصل إلى باكستان شرقا، وتركيا شمالا، والحبشة جنوبا، والمغرب غربا، ثم هى فى مرحلة لاحقة سوف تصطدم بصفة خاصة بإيران، بل وإلى حد معين بكل من تركيا والحبشة. وفى خلال ذلك تعمل على تدعيم وظيفتها الدولية بالمنطقة ومن خلال المنطقة.

الملاحظة الخامسة: إن فهم كل هذه النواحى حيث تتفاعل المتغيرات الإقليمية بأكثر من معنى واحد بالدولية وجميعها، تترابط مع الوظيفة الحضارية لدولة إسرائيل فى عالم القرن الواحد والعشرين، تترابط بها نواح اقتصادية خطيرة لها أهميتها وتملك دلالتها.

(*) كتاب « نحو نهضة أمة كيف نفكر استراتيجياً» لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل. الباب الخامس (آليات وأساليب إقامة النظام العالمى الجديد)؟ من ص 300 وما بعدها. مركز الإعلام العربى – القاهرة طبعة عام 1987.

جميع هذه النواحى تفرض عدة تساؤلات بعضها يرتبط بالنظرة الجديدة للتعامل الدولى الإقليمى، التى تسيطر على الإدراك الإسرائيلى، وبما يستتبعه من البحث عن خلفاء جدد فى عملية المساندة الدولية والتحرك الإقليمى. أحد مظاهر ذلك، إمكانية توظيف مصر فى التعامل مع منطقة شمال إفريقيا.

على **العقل العربى أن يعى هذه الحقائق حتى لانقع في الخندق الذى يحفره لنا أعداؤنا.**

obeikandl.com